سلسلة شروحات الشيخ
٠١

# شرح
# القواعد الأربع

تصنيف شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرح الشيخ

أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية
والمدرس في المسجد النبوي

الشيخ لم يراجع الشرح

شرح القواعد الأربع

# شرح القواعد الأربع

فضيلة الشيخ أ.د. **سليمان بن سليم الله الرحيلي**

المدرس في المسجد النبوي

وأستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية

**تم شرح هذا الكتاب في المسجد النبوي بالمدينة النبوية.**

**(ليلة يوم الأحد ١٣ ربيع الأول ١٤٤٢ هـ الموافق لـ ٢٩ نوفمبر ٢٠٢٠ م)**

**تنبيه! الشيخ لم يراجع التفريغ.**

**الشرح مفرَّغ حرفيًا، ولا يوجد تعديل عليه؛ إلّا في مواضعَ نادرةٍ يقتضيها المَقام.**

كإبدال بعض الألفاظ التي قالها الشيخ بالعاميَّة، أو حذف العبارات المكررة.

**التفريغ**: مجموعة الأخوات التطوعية.

**المراجعة والتنسيق والتصميم**: مجموعة الراقم (raqemgroup@gmail.com)

**للملاحظات: ab29alg@gmail.com**

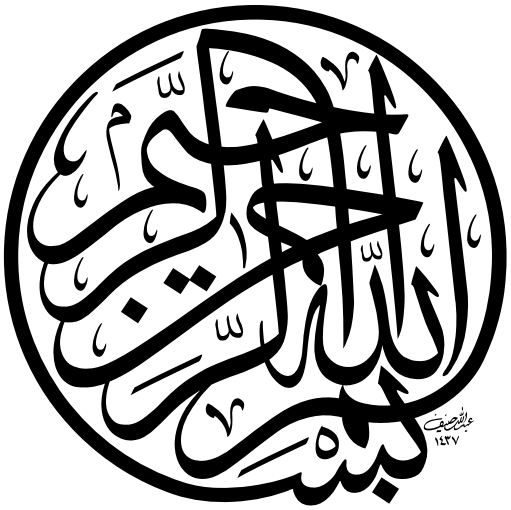
بسم الله الرحمن الرحيم
عبدالله صيف
١٤٣٧

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فهذا المجلس منعقدٌ لشرح رسالةٍ صغيرةِ الحجمِ، عظيمة الفائدة، كبيرة النفع، ألا وهي رسالة القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وهذه الرسالة فيها أربع قواعد يُحمى بها التوحيد فهي كالسور المحيط للتوحيد، تحفظه وتُقطع بها الشبهات على التوحيد، فإنّ كلَّ الشبهات التي تعوق المسلمَ عن تحقيق التوحيد تعود إلى أمورٍ تردّها هذه القواعد الأربع، كما أن فيها سدًا لأسباب الانحراف في التوحيد، فما أعظمها من منافع وما أجلها، وإنما هي قواعد أربع انتقاها شيخ الإسلام من أدلة الكتاب والسنة وواقع الناس، وصاغها وسبكها لمعرفته بالشبهات التي تورَد على هذا الباب العظيم، فكان فيها هذا النفع الكبير.

فنشرع في شرحها مستعينين بالله، وأنا كما ذكرت في [شرح] رسالة الأصول الستة أحثّ طلاب العلم على قراءة هذه القواعد على الناس، وشرحها بما يناسب المقام، وتكرار ذلك ما بين الفَينة والفَينة، فإن هذا من الأمور النافعة، بل من أعظم الأمور النافعة للناس.

### قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**(بسم الله الرحمن الرحيم).**

### الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كسائر رسائله ابتدأ هذه الرسالة بالبسملة:

- اقتداءً بالقرآن الكريم، الذي تُبدأ فيه السور بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، إلا [سورة] براءة.
- واقتداءً بالمُصحف الذي بُدئَ بالفاتحة وأولها ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، سواءً قلنا أنها آية من الفاتحة، أو قلنا على الراجح إنها آية مستقلة.

- واقتداءً بكتب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ التي بُدئت كلها بـ «**بسم الله الرحمن الرحيم**» كما استقرأها العلماء كابن حجر وغيره.
- واستئناسًا بقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**كل أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**»، الذي رواه الخطيب والسبكي، وقواه بعض أهل العلم، كابن دقيق العيد، وابن الملقِّن، والسيوطي، والعظيم أبادي، وقال شيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ: «الأقرب أنه من باب الحسن لغيره»، لكنّ الإمامَ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ بيَّن الضعف الشديد في هذا الحديث؛ والذي يظهر والله أعلم أن الحديث ضعيف، لكن يُستأنس به مع ما تقدم من الدلالات على البدء بالبسملة.

والمؤمن يبدأ كتابته بالبسملة، فيبتدئ بِاسم الله، الذي لا يستحق العبادة إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ذي الرحمة الواسعة التي تعم جميع المخلوقين، والرحمة الواصلة التي هي للمهتدين المؤمنين.

### قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ:

**(أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. فإن هؤلاء الثلاثَ عنوان السعادة).**

### الشرح:

بدأ الشيخ الرسالة بأسلوبٍ حبيبٍ لطيفٍ يقرِّب القلوب، ويجعل للحق لذّةً، فبدأ بالدعاء لمن يقرأ هذه الرسالة، ويقف على هذه الرسالة، وهذا من أساليب الدعوة، ومن أساليب تقريب الحق، ولا شك أنّ رحمةَ الداعي بالمدعوين ولينَه حيث يسوغ اللين، من الأصول التي يتحقق بها المقصود من الدعوة؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يقول لنبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ فهذا الدعاء يجلب القلوب، وهو دعاءٌ عظيم.

(**أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم**)؛ فتوسل بما يناسب.

(**أن يتولاك في الدنيا والآخرة**)؛ أي: أن يكون وليًا لك، ومن تولاه الله كيف يضيع، من تولاه اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حفظه في الدنيا، فكان «**سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»، وكان الله معه، فإن سأل اللهَ أعطاه، وإن استعاذ بالله أعاذه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومن كان الله وليَّه فلا خوف يلحقه، ولا حزن يركبه، فولاية الله عَزَّوَجَلَّ سببٌ للخير كله في الدنيا والآخرة.

(**وأن يجعلك مباركًا أينما كنت**)؛ والبركة من الله يهبها لمن يشاء، فيبارك في العمر، ويبارك في العلم، ويبارك في النّعم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(**وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. فإن هؤلاء الثلاثَ عنوان السعادة**)؛ وأن يجعلك متصفًا بصفات ثلاث، هي عنوان السعادة: ممنْ إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فالإنسان إنما هو ما بين نعمةٍ مهداة، وما بين ابتلاءٍ بمصيبة، وما بين ذنبٍ يقع فيه؛ فإذا وُفق الإنسان لشكر النعم قام بما وجب عليه، ودامت عليه النّعم، بل زادت ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾؛ وإذا وُفق إلى الصبر عند الابتلاء بالمصائب هانت عليه المصيبة، وفاز بالأجر وسَتَمُرُّ هذه المصيبة، وهذا الدين شكر وصبر؛ وإذا كان الإنسان يتَّق الله حيثما كان، فإذا زلت القدم وأذنب ذنبًا بادر بالاستغفار، فاستغفر الله، فيمحو الله ذنبه بهذا الاستغفار = كان في تمام الخير وتمام العافية، وهذا عنوان السعادة، ولن يرتاح قلبٌ إلا إذا وُجد فيه الشكر والصبر والاستغفار، وكان ذلك ظاهرًا على الجوارح، وقد صدق الشيخ حيث قال: (فإن هذه الثلاثة عنوان السعادة).

### قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها**).

## الشرح:

(**اعلم أرشدك الله لطاعته**)؛ القاعدة عند أهل العلم أن كلمة اعلم إنما تُقدَّم بين الأمور العظيمة التي يجب العلم بها ويعم نفعها، وكرر بعد الأمر الدعاء لطفًا، وانظر كيف انتقى هذا الدعاء؛ (**اعلم**)؛ فإني سأذكر لك خيرًا وأصولًا عظيمة؛ (**أرشدك الله لطاعته**)؛ ومن طاعته أن تعلم هذه الأصول وأن تعمل بما فيها.

ثم مهَّد بهذا التمهيد العظيم (**أن الحنيفية ملة إبراهيم**)؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ والحنيف كما قرره العلماء: هو المخلص المتبِّع المستقيم، من هو الحنيف؟ هو المستقيم على الصراط، المائل عن الانحراف، المخلص المتبِّع، فإن أردت أن تكون حنيفًا فعليك بهذا، استقم على الصراط، والزم الصراط المستقيم، مجاهدًا نفسك والشياطين، ومِلْ عن كل انحرافٍ، وكن مخلصًا لله متبعًا لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ؛ وأصل الحنيف من حيث اللغة: الميل أو الاستقامة، بعض أهل العلم قال: (الميل)، ومنه يسمى الأحنف، الذي إحدى قدميه تميل إلى الأخرى؛ وبعض أهل العلم قال: أصل الحنيف (الاستقامة)، فهذا هو الحنيف؛ والحنيفية ما هي؟ هي ملّة إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وهي إقامة التوحيد والسلامة من الشرك، وهذا الذي يفسره الشيخ.

(**أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها**)؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾؛ هذه هي الحنيفية، أن تعبد الله مخلصًا له الدين، فتتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وحده، وتعبد الله وحده لا شريك له، وتقصد بعبادتك وجه الله، لا تريد دنيا ولا تريد ثناءً، وإنما تريد ما عند الله عَزَّوَجَلَّ، فأنت موَّحدٌ عابدٌ، ومن أجل العبادة خُلقت، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، وبالعبادة أمرت كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾، وبالعبادة على التوحيد أُرسل الرسل، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

## قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**(فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة).**

## الشرح:

إذا عرفت وأيقنت وعلمت علمًا جازمًا أن الله إنما خلقك لعبادته، واللهِ، الحكمةُ من خلق الإنسان أن يعبد الله، وأن يعمر الأرض بالتوحيد، ليست الحكمةُ السياسةَ، كما يفسِّر الحزبيون الإسلام بالإسلام السياسي، وليست الحكمة أن تبني المباني وتجمع الأموال، وإن كان العمل بالمباح لا حرج فيه ما لم يُلْهِ عن الأصل المقصود وهو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنما خُلقت لتعبد الله وإذا علمت ذلك فلا بد أن تعرف ما هي عبادة الله وكيف تعبد الله، حتى تحقق المقصود من خَلْقِك وحتى يكون مآلك إلى الجنة.

(فاعلم)؛ هذا أمرٌ مقدم بين يدي أمرٍ مهم؛ وهذا العلم فرضُ عينٍ على كل مسلمٍ ومسلمةٍ، لا يجوز لأحدٍ أن يتركه، ولا بُدَّ من تعلمه.

(أن العبادة لا تسمى عبادةً إلا مع التوحيد)؛ فلن تكون عابدًا إلا إذا كنت لله مخلصًا، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ متبعًا، فالعبادةُ شرط كونها عبادةً الإخلاصُ لله، بأن تعبد الله وحده، قاطعًا النظر عن ثناء الناس، وعما في أيدي الناس، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»؛ ولا بد من أن تكون متابعًا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وكما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فمن رغِب عن سنتي فليس مني**».

وهذا شرطٌ لقبول العبادة، كما أن الطهارة شرطٌ لقبول الصلاة؛ والشيخ ذكر هذا لأن هذا معلوم عند جميع المسلمين، أي: أنّ من أراد أن يصليَّ لا بد أن يتوضأ، لا بد أن يتطهر، وأنه إذا لم

يتوضأ فالكل يقول إن صلاته باطلة مردودة، فكذلك التوحيد للعبادة؛ الإخلاص لا بد منه لصحة العبادة وإلا كان مردودًا.

والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولابد في العبادة من كمال الذل وكمال الخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا دخل الشرك في العبادة أبطلها، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن المشركين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

### قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾؛ فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه).

### الشرح:

إذا عرفت أنك خُلقت من أجل العبادة، وأنَّ شرط العبادة التوحيد، وأن الشرك إذا دخل في العبادة أفسدها، كما أن من أحدث بطلت صلاته، وعلمت أنَّ الشرك موجود ويقع من الناس، فإن هذا يجعلك حذرًا من الشرك، ويلزمك أن تتعلم التوحيد وما تحمي به التوحيد، وممّا يُحمَى به التوحيد هذه القواعد الأربع، فهي سورٌ على التوحيد يُحفظ بها التوحيد، وهي قاطعةٌ للشبهات، وكاسرةٌ لأسباب الانحراف في باب التوحيد، ومن عرفها وأيقن بها كان ذلك سببًا بفضل الله عَزَّوَجَلَّ لتخليصه من الشرك ولحماية توحيده.

(القواعد)؛ جمع قاعدة، والقاعدة أصلها في اللغة: الثابتة، والأصل لما فوقها؛ والمراد بها: أمورٌ كليةٌ يُحمَى بها التوحيد وتُدفَع بها الشبهات عنه، فالمراد بها هنا في كلام الشيخ أمورٌ كليةٌ يُحمَى بها التوحيد وتُدفع بها الشبهات عنه.

**قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مُقِرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾).

**الشرح:**

هذه القاعدة الأولى، القاعدة العظيمة، وذلك أن التوحيد كما دلت عليه النصوص ثلاثة أنواع:

**توحيد الربوبية**: وهو توحيد الله بأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وهذا التوحيد يقر به كل عاقل إلا الشُّذَّاذ الذين فسدت فِطرهم بالكلية، وأظلمت قلوبهم، فلا تكاد تجد من ينكر توحيد الربوبية قديمًا ولا حديثًا إلا الشُّذَّاذ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بُعث إلى أناسٍ مُقرّين بتوحيد الربوبية، وأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق الرّزاق المدبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**توحيد الأسماء والصفات**: بأن تُثبِت أسماء الله وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، بمعناها الظاهر على الوجه الذي يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من غير تحريفٍ لمعانيها ولا تكييفٍ ولا تشبيه.

**توحيد الألوهية**: وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة؛ فتكون العبادة كلها لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أعظم أنواع التوحيد، وهو الذي بُعث به الرسل أصالةً، وهو حق الله عَزَّوَجَلَّ على عباده، وقد رُتِّبت عليه فضائل كثيرة.

إذا كان ذلك كذلك، فاعلم أن الإتيان بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية لا يخرج صاحبه من حد الكفر إلى الإسلام، ولا يكون صاحبه موحدًا بل يكون من الكفار، وبذا تعلم خطأ الذين يفسرون التوحيد بإفراد الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله، وإذا جاؤوا يتكلمون عن كلمة التوحيد تكلموا عن أفعال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإن هذا لا يخرج الناس -كما قلنا- من حد الكفر إلى حد الإسلام والتوحيد، فإن قريشًا كانوا يقرون بأفعال الله عَزَّوَجَلَّ ويوحدون الله في أفعاله، ومع ذلك كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يدعوهم إلى قول (لا إله إلا الله)، ولما سمعوها أنكروا عليه ولم يقولوها، وحاربهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لأنهم لم يأتوا بها، واستدل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بآية من آيات كثيرة تدل على ذلك وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾؛ فهم يعترفون بهذا ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ وهذا دليلٌ واضحٌ بَيِّن على أنهم كانوا يوحدون الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله ومع ذلك لم يقبل الله عَزَّوَجَلَّ منهم ذلك ليكونوا مسلمين، بل أُمِروا بالتقوى وقاتلهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مع إقرارهم بهذه الأفعال، فدَلَّ ذلك على أنه لا بد من توحيد الألوهية.

### قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ:

**(القاعدة الثانية أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة).**

### الشرح:

المشركون الذين بُعِث إليهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كانوا مقرين بالتوحيد، أعني: توحيد الربوبية، مقرين بتوحيد الله في أفعاله، وكانوا يعبدون من يعبدون أو ما يعبدون بحجة أنهم يطلبون بذلك القربى إلى الله، وأنهم يتوسلون بهم إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهم يقولون: نحن نعبد هذه الأصنام وما نعبده -كما سيأتي إن شاء الله- لنتقرَّب إلى الله، وليكونوا وسيلتنا إلى الوصول إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وليشفعوا لنا عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهذا كان حالًا للمشركين الذين بُعث إليهم النبي

صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، ومع ذلك فَهُم بدلالات القرآن والسنة وفعل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مشركون غير مسلمين يُقاتَلون حتى يوحدوا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

**قال المؤلف** رَحِمَهُٱللَّهُ:

(فدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾).

**الشرح:**

هذا دليلُ أنهم إنما عبدوا من يعبدون وأشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ بهذه الحجة، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: يتولونهم ويعبدونهم ويدعونهم ويستغيثون بهم ويستقسمون بهم.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾؛ هم في الحقيقة أكثر فقهًا ممن يشركون من هذه الأمة؛ لأن أولئك يدركون أن هذه عبادةٌ، أي: أنّ دعاءَهم والاستغاثةَ بهم عبادةٌ لهم، وأما المشركون أو الذين يفعلون الشرك ممن ينتسبون إلى أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لا يرون هذه عبادةً، بل يرون هذا عبادةً لله، وهم يعبدون غير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾)؛ أي: ليكونوا واسطةً بيننا وبين الله، نرفع الحوائج إلى الله عن طريقهم، فهذا دليل على أنهم إنما كانوا يعبدون من يعبدون من أجل أن يكونوا قربى إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

**قال المؤلف** رَحِمَهُٱللَّهُ:

(ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، والشفاعة شفاعتان، شفاعة منفية وشفاعة مثبتة).

## الشرح:

هذا دليل على أنهم إنما عبدوا ما عبدوا ومَن عبدوا بحجة وشبهة الشفاعة، وأنهم سيشفعون لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا شك أن هذه شبهة باطلة وساقطة.

(**والشفاعة شفاعتان، شفاعة منفية وشفاعة مثبتة**)؛ الشفاعة كلها لله، فالشفاعة لله جميعا، لا يملك أحد منها شيئا إلا أن يعطيه الله ذلك بأن يأذن له ويرضى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالشفاعة شفاعتان: منفية ومثبتة، والشيخ فسر ذلك.

## قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾).

## الشرح:

(**الشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله**)؛ لأنّه لا يملك الشفاعةَ إلا الله، الشفاعة كلها لله، الشفاعة جميعا لله، فهي تطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والشافعون إنما يشفعون بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبرضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وكذلك فيما لا يقدر عليه إلا الله، أما ما يقدر عليه المخلوق فيشفع المخلوق للمخلوق عند المخلوق فيما يقدر عليه، هذا الذي يُسمَّى عند العامة بالواسطة، فهذا من الشفاعة بين الخلق، وهو ليس من الشفاعة المنفية، والشفاعة التي نفيت هنا في هذه الآية هي الشفاعة التي تطلب من غير الله عَزَّوَجَلَّ.

## قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾).

## الشرح:

هذه الشفاعة المثبتة وهي التي تطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ يعطيها من يشاء، والحكمة من الشفاعة إكرام الشافع ورحمة المشفوع له بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ورضاه عن المشفوع له، ولم يشفع أحدٌ مهما كان إلا بإذن الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والشفاعة المثبتة أنواعٌ دلت عليها النصوص، وبيناها في شرحنا على كتاب التوحيد(١).

## قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**(القاعدة الثالثة: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ظهر على أُنَاسٍ متفرقين في عباداتهم؛ منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد**

---

(١) الشفاعة المثبتة يوم القيامة أقسام، وتنقسم في الجملة إلى قسمين:

**القسم الأول: شفاعة خاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، لا ينالها أحد سواه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذه الشفاعة التي يختص بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على أنواع:

- **النوع الأول**: الشفاعة العظمى: وهي من المقام المحمود، وهي شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأهل الموقف، حيث يشفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتى يُقضى بينهم... فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودًا، يحمده أهل الجمع كلُّهم.
- **النوع الثاني**: شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهذه أيضا من المقام المحمود.
- **النوع الثالث**: شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لعَمِّه أبي طالب بأن يخفَّف عنه العذاب، لأن أبا طالب قد مات على الشرك ولم يقل لا إله إلا الله مع تقدم نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم.
- **النوع الرابع**: الشفاعة لأهل المدينة، لمن عاش فيها موحدًا، وصبر على شدّتها ولم يتسخط ومات فيها، وهي غير الشفاعة العامة التي تكون لأهل الكبائر من الموحدين أو لأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما هي شفاعة خاصة بأهل المدينة، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن المدينة: «**لا يصبر أحدٌ على لأْوَائها فيموت، إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة، إذا كان مسلما**» رواه مسلم في الصحيح.

**القسم الثاني: شفاعة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولغيره**، يكرم الله بها من شاء من عباده، وهي أنواع:

- **النوع الأول**: الشفاعة لأقوام مسلمين استحقوا دخول النار، فيشفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لهم ليخرجوا من النار، ويشفع لهم الأنبياء، ويشفع لهم المؤمنون، وتشفع الملائكة أيضا، فيُخرِج الله أقوامًا من النار بهذه الشفاعة، وهذه الشفاعة وإن كانت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولغيره، إلا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فيها هو المقدم.
- **النوع الثاني**: الشفاعة لأقوام من الموحدين يستحقون دخول النار ألا يدخلوها.
- **النوع الثالث**: الشفاعة في رِفعَة الدرجات في الجنة.

[مختصر من شرح كتاب التوحيد]

الأشجار والأحجار، وقاتلهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾).

## الشرح:

هذه القاعدة الثالثة، وهي قاعدة عظيمة، لأنّ بعض الناس يظن أنّ الشرك هو عبادة الأصنام فقط، فيَعبد الأنبياء، ويعبد الملائكة، ويعبد من يُسَمَّون بالأولياء الصالحين، ويظن أن ذلك يخالف ما كان عليه المشركون، وأنّ هذا من التوحيد، فبين الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ هذه القاعدة العظيمة، وأنّ الناس الذين دعاهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ إلى التوحيد وبُعث إليهم كانوا متفرقين فيمن يعبدون، مجتمعين على عبادة غير الله، فكان الجامع بينهم أنهم مشركون وكانوا متفرقين فيما يعبدون، ومنهم من يعبد آلهةً متعددةً، ومع ذلك كانوا جميعًا مشركين وأُمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بقتالهم جميعًا، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وبَيَّنَ اللهُ أنهم في فتنة، أعظم فتنة وأعظم ظلم، الذي هو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، وسيبين الشيخ الأدلة على أنهم كانوا يعبدون أمورًا متعددة.

## قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ:

(فدليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾).

## الشرح:

فكان هناك من الناس من يسجد للشمس ويسجد للقمر، فإذا بزغت الشمس سجدوا لها، وإذا غربت الشمس عند الغروب سجدوا لها. ولذلك نُهينا عن الصلاة في هذين الوقتين نهيًا مشددًا مؤكدًا، وكذلك كانوا يسجدون للقمر، فهذه عبادة.

**قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾).

**الشرح:**

فدل ذلك على أنّ مِن المشركين مَن كانوا يعبدون الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

**قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾).

**الشرح:**

وهذا دليل على أن هناك من عبد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

**قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾).

**الشرح:**

إذًا، كانوا صالحين، أعني: هؤلاء الذين عبدهم بعض الناس كانوا رجالًا صالحين، وكانوا يخافون الله ويرجون رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومع ذلك عبدهم أولئك المشركون.

**قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وحديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين شجرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا

بسدرةٍ فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «الله أكبر إنها السُّنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة»).

## الشرح:

هذا الحديث فيه أن المشركين كانوا يعبدون شجرةً عظيمةً من شجر النَّبِقْ، ويعلِّقون بها أسلحتهم، ويرجون خيرها ويخافون شرها، فدل ذلك على أنهم كانوا يعبدون الأشجار.

فهذا دليلٌ واضحٌ وبَيِّنٌ على أن الشرك ليس مقصورًا على عبادة الأصنام، وأن دعاء الصالحين ودعاء الأنبياء ودعاء الملائكة من الشرك بالله، من جنس الشرك الذي كان عليه المشركون الذين قاتلهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ودعاهم إلى التوحيد.

## قال المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ:

(القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركوا زماننا شركهم دائمٌ في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾).

## الشرح:

إذا علمنا ما تقدم، وعلمنا أن من الناس في زماننا من يشرك بالله وإن لم يُسمِّه شركًا، ويعبد غير الله وإن لم يُسمِّه عبادة، فيستغيث بغير الله ويدعوا غير الله ويذبح لغير الله ويسجد لغير الله ويصرف العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فإن المشركين في زماننا الذين يفعلون هذا الشرك أغلظ شركًا من المشركين المتقدمين، هذا من جهة أن المشركين المتقدمين إنما يشركون في حال الرخاء، أما في حال الشدة فإنهم يخلصون لله عَزَّوَجَلَّ، فإذا وقع أحدهم في البلاء فإنه يرجع إلى الله ويدعوا الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإذا كان في الرخاء فإنه يشرك بالله، أما مشركوا زماننا فإنهم يشركون بالله في الرخاء ويكونون في الشدة أشد شركًا بالله. فإذا كان أحدهم في مصيبة أو بلاء تعلق بغير الله ونادى من يُسمُّونهم بالسادة والأولياء

ونحو ذلك، فإذا انقلبت مثلًا السيارة تجدهم ينادون: يا سيدي فلان! يا أولياء! يا سبعة! يا كذا! يا سيدي عبد القادر! يا حسين! يا علي! فيشركون بالله عَزَّوَجَلَّ في الشدة.

أيضًا مما ذكره بعض أهل العلم في غلظ شرك المشركين في زماننا، أن المشركين في زماننا يتعلقون برجالٍ لا خير فيهم في كثيرٍ من الأحيان، بخلاف المتقدمين، فإنهم يتعلقون بمن عُرِفوا بالخير، وإن كان الشرك شركًا، فكان المتقدمون يعبدون رجالًا موحدين صالحين أو الملائكة أو الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رأس الصالحين، وأما في زماننا فيُعبد رجال حتى لا يحضرون الصلاة ولا يصلون ولا يظهر منهم الخير، وقد لقيت مرةً رجلًا ذكر لي أنه أسلم ثم ذهب إلى دولةٍ من دول المسلمين وعاش مع بعض المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام، فوجدهم يعبدون رجالًا، قال: فسألتهم هل هؤلاء أنبياء؟ قالوا: لا. قال: وجدت أنهم يفعلون أشد مما نفعله حال كوننا في الكفر والنصرانية مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: فوقع في نفسي أن النصرانية أفضل من الإسلام، نعوذ بالله، يقول: رأيتهم يفعلون من الأشياء ما نَتَنَزَّهُ نحن عن فعله مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم هم يعبدون رجالًا ليسوا بأنبياء، والنصارى يعبدون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: فَأَنْقَذَنِي الله برجل قال لي: ليس هذا الإسلام، إذا أردت الإسلام فاذهب إلى مكة، وكان هذا الرجل يُحَدِّثُنِي قبل سِنين طويلة جدًّا، أظن قبل سبعٍ وثلاثين سنة أو نحوها، قال: فذهبت إلى مكة، فوَجَدت التوحيد، فعرفت الإسلام الحق ولله الحمد والمنة، وثبت، وأنا لقيته في مكة وكان يذكر لي هذا الأمر؛ وهذا يجعل الإنسان يَنْفِر أكثر من هذا الشرك الواقع في زَمَانِنا، ويَحْذَر منه ويُحَذِّر منه، ويعمل جاهدًا على إنقاذ أهله منه، ومن الرحمة أن نسعى في بيان التوحيد للناس وأن نُحَذِّرهم من الشرك، ومما أدعوا طلاب العلم إليه أن لا يَتَعَرَّضُوا لمسألة العذر بالجهل في التوحيد عند الناس فإن هذا مما يهون الشرك، ويقلل من العناية بالتوحيد، مهما كان رأيك في المسألة إنما يكون في مقام العلم، وإذا كان هناك فتنة أو نحو ذلك، وإلَّا فيُدْعى الناس إلى التوحيد، ويُحَذَّر الناس من الشرك ويُبَيَّن لهم أن هذه الأفعال شركٌ أكبر، تُخرج من دين الإسلام، ولا يغفرها الله عَزَّوَجَلَّ لمن وقع فيها، لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل في ذلك خيرًا، وأعظم ما يجب علينا أن نسعى في استنقاذ الناس من الشرك، وفي الدعوة إلى التوحيد، ووالله كل دعوةٍ لا تعتني

بالتوحيد ليست دعوةً شرعيةً ولا دعوةً ناجحةً، كل دعوةٍ لا تعتني بالتوحيد اعْلَم يقينًا أنها ليست دعوةً شرعيةً، وليست على طريق محمدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وليست ناجحةً.

هذا ما تيسر في الوقت المحدد بيانه فيما يتعلق بهذه القواعد الأربع النافعة، والتي كما قلت في البداية يَحْسُنُ بَيَانُها وتكرار ذكرها للناس وعرضُها على الناس، وربط ذلك بالواقع في كل بلدٍ بالأسلوب الْحَسَن والكلام الرَّاقِي والتَّدْلِيل الْبَيِّن لعل الله أن يجعل في ذلك خيرا.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يبارك في الجميع، وأن يتقبل منا ما قدمنا وأن يجعل فيه النَّفْعَ لِأمة محمدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وأن يَجْزِيَ القائمين على المسجد النبوي خير الجزاء على حرصهم على تقديم النافِع للناس، وعلى متابعتهم وإصرارهم على إقامة مثل هذه الدروس وهذه الأيام، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقني وإياهم الإخلاص، وأن يكتب لي ولهم الأجر، وأن يشرح صدورنا جميعًا للهدى والحق ويجعلنا رَجَّاعِين مستغفرين شاكرين صابرين، وأن يُحَقِّق لِإخواني وأخواتي ما يرغبون ويأملون، وأن يدفع عني وعنهم السوء، وأن يرفع هذا الوباء ويُسَلِّمَ أهل الأرض منه وأن يُعِيدَ أمورنا إلى ما كانت.

والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا وسلم.